الأخـــــلاق

تغوض الفلسفة فى بحر القيم الأخلاقية وتعريفاتها ومبادئها، وبالرغم من أن الفلسفة قد استطاعت أن تعلم الإنسان السباحة فى محيط المذاهب والمدارس الفكرية إلا أنها حارت فى توجيهه، أو بمعنى آخر تركت له حرية اختيار الاتجاه، فالنسبية فى المنظومة البشرية قد شوهت اليقين كما أدت إلى اتساع مدى المنظور المعرفى. ارتبطت الأخلاق Ethics عموما بمعايير السلوك والقيم التى يتحدد بموجبها الإعجاب والتقدير بموقف معين أو رفضه، واحترامه أو إدانته، وقد تسرى هذه المعايير على المجتمع بأسره لتشكل ميثاقا للشرف، وقيما تلزم بها ثقافة المجتمع، وضوابط تحد من السلوك الفطرىَ للفرد.

اختلف الإنسان فى فهم وتعريف الخير، لقد رأى النبى موسى عليه السلام أن الخير فى أعلى درجاته يتمثل فى العدالة، وتمثل للفيلسوف أفلاطون الخير فى الحكمة، أما السيد المسيح عليه السلام فقد ركزه فى المحبة، فمن أقواله: "الله محبة". من منظور آخر كانت الفضيلة تتمثل فى صراع بين طبيعتين من طباع البشر، فإذا كان الفضل / فضيلة، عكس النقص / نقيصة، فإن الشىء وضده كانا فى صراع أبدى منذ أن بدأ الإنسان التعامل مع عالم خارجه. فى بدايات القرن العشرين توصل عالم النفس سيجموند فرويد إلى أن هذا الصراع قائم فى اللاشعور، واعتبر أن الأنا Ego هى القوة المقيدة والمسيطرة (الضمير) على الهوا Ed والتى تتمثل فى الدوافع الغريزية، وأن الأنا هو الحكم الذى يراقب مراعاة المصلحة الشخصية من منطلق المنفعة العامة. كانت مشكلة الخير الأقصى/ الخير النهائى، وطبيعته وعلاقته بجميع عناصر القيم هى أهم موضوع تتناوله الفلسفة تحت مسمى الأخلاق. واختلف البشر فى تعريف السعادة، وأين

موقع الواقع والالتزام فى القيم الأخلاقية، وهل الإنسان بفطرته يميل إلى الأنانية؟... إلى آخره من مواضيع تداولها الفكر الإنسانى من أجل أن يحتار، فيكسر ملل رتابة سعادة قد يمر بها فى بعض الأحيان.

دأب الغرب على إرجاع الفلسفة الأخلاقية إلى الفلاسفة الإغريق، وتناسى انبثاق القيم الأخلاقية فى حضارات الإنسانية الأولى فى مصر الفرعونية وفى بلاد بين النهرين. كتب جيمس برستيد فى كتاب "فجر الضمير" عن بدايات إدراك الأخلاق: (إن أعظم ظاهرة أساسية فى تقدم حياة الإنسان هو نشوء المبادئ الخلقية وظهور عنصر الأخلاق... وقد ظهرت أقدم فكرة عن النظام الخلقى تجرى على قواعد راسخة فى عهد الاتحاد الثانى تحت سيطرة حكومية ثابتة، وهذا النظام كان يعبر عنه فى اللغة المصرية القديمة بكلمة واحدة جامعة هى كلمة " ماعت "، وتعنى الحق والعدالة والصدق). أيضا، أرجع المؤلف الإرث الخلقى للحضارة الغربية إلى تعاليم الحكماء المصريين، والتى انتقلت إلى بنى إسرائيل أثناء إقامتهم فى مصر القديمة على مدى أربعمائة عام، فقد خرج اليهود من مصر بقيادة النبى موسى عليه السلام حاملين معهم – بالإضافة إلى ذهب المصريين – أساطيرهم التى كانت تعبر عن النزعة الأخلاقية، فى ثقافة قائمة على العقيدة الدينية. أكد برستيد على أن الدين ولد وتشكل فى مصر الفرعونية، وأفضى بالتدريج إلى ظهور المبادئ الأخلاقية فى أقدم وأطول حضارة استمرارا والتى دامت إلى ما يربو على ثلاثة آلاف سنة.

حاول أفلاطون وضع قانون أخلاقى طبيعى، يغرس فى نفوس البشر الرغبة فى الصلاح دون الخوف من الجحيم أو الطمع فى نعيم الآخرة. كانت المشكلة الرئيسية فى علم الأخلاق تدور حول النزاع بين رغبات الفرد وشهواته، وبين الخير الاجتماعى. لم ينكر أفلاطون مبدأ اللذة، فكثير منها لا عيب فيها ولا

أثم، ولكن تميز الإنسان بالذكاء الذى جعله يفرق بين اللذات الطيبة والأخرى الضارة، وكان يرى أن خير الأمور الوسط، فالاعتدال فضيلة يجب أن يتحلى بها الإنسان. تتكون النفس أو أصل الحياة – فى فكر أفلاطون – من ثلاثة أجزاء: الشهوة، والإرادة، والفكر، ولكل جزء من هذه الأجزاء فضيلته الخاصة وهى: الاعتدال، والشجاعة، والحكمة. أضاف أفلاطون أيضا التقوى والعدالة، وأداء واجب الإنسان نحو والديه وآلهته. عرف أفلاطون أيضا العدالة بأنها تعاون الأجزاء فى الكل، أو العناصر فى الأخلاق، أو أفراد الشعب فى الدولة، بحيث يقوم كل جزء بواجبه على الوجه الأكمل. وليس الخير هو الفعل وحده أو اللذة وحدها، بل هو امتزاجهما بنسب ومقادير تنتج منها منظومة الحياة. إن أسمى خير من الناحية الأخلاقية، هو تكثيف القدرات الذاتية، وتركيز الموهبة من أجل الوصول إلى الحقيقة.

تنقسم الأخلاق إلى مجالين وهما:

- الأخلاق المعيارية Normative Ethics وهى التى تختص بتقديم ثم تبرير وإثبات الدليل على السلوك والتصرف السليم، فهى توظف مفهوم: الجيد / السيئ، والصواب / الخطأ، من أجل التعبير عن التفضيل بينهما (بين الصواب والخطأ مثلا)، واتخاذ القرارات والاختيارات النابعة من مفهوم الفرد للصواب والخطأ، أو نقد السلوك / الفعل من خلال هذا المفهوم، أو ترتيب وتصنيف السلوك فى مرتبة معينة، أو الإقناع والحث بقدر تأثير مفهوم الصواب / الخطأ على الفرد، أو الثناء على ومدح الفعل الجيد، أو اللوم للفعل السيئ أو التشجيع / النهر.
- ما بعد الأخلاق / الأخلاق السامية Meta-Ethics وتسمى أيضا الأخلاق التحليلية، أو الأخلاق الانتقادية، لكونها تدرس وتحلل معانى مصطلحات الأخلاق، والحكم عليها والتى تستخدم فى الأخلاق المعيارية، وكذلك الحكم على توظيفها فى المواقف المختلفة.

إذا عدنا إلى الأخلاق المعيارية نجد أنها تنقسم إلى قسمين:

الأول: نظرية القيمة Theory of Value وهى التى تتعامل مع طبيعة الأشياء، والإجابة عن السؤال: ما هى الأشياء، والأفراد، والدوافع، والمواقف، والسمات الشخصية، التى تقع تحت مسمى: الجيد والسيئ؟

الثانى: نظرية الإلزام والتعهد Theory of Obligation وهى التى تتعامل مع إدارة السلوك، لتوصيل الجيد منه إلى الآخر، والوقوف ضد السيئ منه. وعليه تكون البداية هى الإجابة عن السؤال: ما هى الأفعال الجيدة / السلوك الحسنة، وما هى السيئة منها؟ وكذلك الإجابة عن السؤال: ما الذى يجب أن يلتزم به الإنسان فى منظومته الحياتية؟

إن المنظومة الحياتية البشرية وجدت فى بادئ الأمر فى شكل طبيعى/ بدائى/ فطرى / غير منظم إلى حد كبير، ثم بدأ الإنسان فى وضع القيم لتحسين الصالح، والبعد عن الطالح. وبدأ علم الأخلاق والقيم فى الظهور ووضع مبادئ يسير عليها الإنسان، وقيم ليتبعها، ومعايير ليقيس بها.

يمكن أن تأخذ نظريات القيمة الصورة الأحدية Monistic وفيها يكون الشىء، أو النوع جيد فى جوهره، أو الصورة الجماعية Pluralistic وفيه تكون الأشياء أو الأنواع تملك خاصية القيمة الفعلية الحقيقية. كمثال على نظرية القيمة الأحدية مذهب المتعة Hedonism والذى يرى أن اللذة أو السعادة هى الخير الأوحد أو الرئيسى فى الحياة، وبالتالى المتعة فقط هى التى لها قيمة بدون النظر عن أى شى آخر، وبالحصول على متعة أكبر أو سعادة أكثر تكون القيمة قد تعالت وتصاعدت. ومن الأمثل الأخرى لأحدية القيمة: الجمال، القوة، الصحة، الشرف، الاشتراكية، المعرفة، الصداقة. تختلف القيمة وفقا للسمات الشخصية للإنسان

والتى تكونت وتشكلت نتيجة التمازج والتفاعل بين الموروثات الفطرية، والخبرات المكتسبة خلال مراحل العمر المختلفة. أما الشكل الجماعى للقيم فهو يقر بالقيمة الأحدية، كقيمة ضمن قيم أخرى، وقد تختلف شدة وقوة القيمة الأحدية، كقيمة ضمن قيم أخرى، وقد تختلف شدة وقوة القيمة من فرد لآخر. كمثال على ذلك فإن التسامح قد يكون قيمة لدى الفرد، ولكن القوة قد تقف كقيمة بجوار التسامح، وعليه يكون سلوك الفرد التسامح مع القوة وليس التسامح من منبع الضعف. فى الحقيقة – وخاصة فى الزمن الحالى – تتزايد أعداد القيم التى تتشكل لدى الفرد واختلف الفكر الإنسانى فى وجود قيم متعارضة، أو قيم مختلفة قد تشتد حينا أو تخبو حينا آخر وفقا للمواقف والظروف الخارجية عن الفرد، أو الداخلية أى الحالة المزاجية التى تتغير بتغير الدورات الطبيعية أو الإيقاع الطبيعى Bio-Rhythm للإنسان.

تفترض الثنائية الأخلاقية أن الكون يحوى قوتين متعارضتين، تسميان باسم الخير / الشر، أو الصواب / الخطأ، وأن المنظومة البشرية ما هى إلا صراع بين هاتين القوتين. يدخل كل فرد واع فى مضمار هذا الصراع ليختار الجانب الذى سيصارع من أجله، ويكون هذا الاختيار نابعًا من إرادة الفرد فى مذهب الإرادة الحرة أو هى مفروضة عليه فى القدرية، أو أمر محتوم عند معتقدى مذهب الحتمية. تتعارض الثنائية مع مبدأ النسبية الأخلاقية التى ترى أنه نادرا ما يتواجد الشىء – فى القيم الأخلاقية – فى أقصى الطرفين عند الأبيض أو الأسود، ولكن غالبا يحدث التواجد عند اللون الرمادى بدرجاته المتباينة. إن المنظور الفردى الذى تكون من تراكم التجارب الشخصية هو الذى يعطينا الإحساس بدرجة اللون الرمادى. مثلا، السرقة شر / خطأ، ولكن هل هى كذلك فى حالة إنسان يموت جوعا بينما غيره لديه من الترف ما يجعله يحرق فضلات طعامه التى قد تسد جوع السارق.

من المواضيع الشائكة والمثيرة للمناقشة والاختلاف فى الفلسفة الأخلاقية، علاقة " الصواب " Right كواجب إلزامى Imperative، و" الخير" Good كشيء مرغوب فيه Desirable. يمكن الاكتفاء بالتحليل البسيط الذى يذهب إلى أن الغرض أو الهدف الصائب يتماشى مع النتيجة الخيرة. ولكن فى الواقعى العملى، لا يستطيع إنسان أن يؤكد – حين اتخاذ قرار ما – إن كان القرار الصائب كهدف – من منظوره الشخصى – سوف يؤدى إلى نتيجة خيرة أم العكس. فى هذه الحالة، ومن منطلق الأخلاق هل نحاسب متخذ القرار – إذا كانت النتيجة سلبية – بالرغم من أن الهدف كان من أجل الصالح.

إذا كان الشر هو المقابل العكسى للخير، فما هو تعريف الشر...؟ اتفق الفلاسفة على التفرقة بين الشرور الطبيعية Natural Evils مثل الزلازل والعواصف والأعاصير والفيضانات والتى تدمر الطبيعة وما صنعه الإنسان، وبين الشرور الأخلاقية Moral Evils مثل الكراهية والطمع والحقد والحسد والشهوة المحرمة، وكلها أشياء تهدف – عن عمد – إلى إلحاق الضرر بالآخرين. تعاملت العقائد الدينية مع الخير / الشر كحقيقتين قائمتين ومتصارعتين، وسيستمر هذا الصراع إلى نهاية الكون، كما أكدت على وجود الشر فى عالم الشياطين، وفى الروح الإنسانية الشريرة. فى نفس خط الشر توجد الخطيئة Sin، والتى تعرف بأنها تدنيس للمقدسات، وانتهاك للقيم الأخلاقية النابعة من الضمير الإنسانى، أو الاعتداء على المعتقدات السائدة فى المجتمع. إذا كانت الخطيئة قد بدأت منذ أن عصى آدم وحواء ما أمرهما به الرب فطردا من الجنة، واتبعته خطيئة أخرى بقتل قابيل أخيه هابيل، فإن العقائد الدينية تذهب إلى أنها لن تنتهى إلا بالخلاص النهائى (يوم القيامة)، فالإنسان بطبعه خطاء.

فى النصف الأول من القرن العشرين طغت نزعة الشك الأخلاقية على بعض علماء العلوم الاجتماعية. وضع العالم الأمريكى وليام سمنر نظرية أرجعت الأحكام الأخلاقية إلى مظاهر لا منطقية، وأى قوى اجتماعية وعادات شائعة تعتبر أيضا غير عقلانية. مثال على ذلك ربطة العنق (الكرافتة)، وأزرار أكمام السترة الرجالى (القميص) وأربطة الأحذية، فهى عادات لا فائدة أو نفع منها بل قد تسبب ربطة العنق فى كبح حركة سريان الدم فى الجسم، وهى عادات اكتسبت شعبيتها فى زمان معين ومكان خاص ثم انتشرت دون أن يسأل معتادوها عن فائدتها أو ضررها (ابتدأت بعض الثقافات – فى إيران مثلا – من التحرر منها فى الوقت الحالى). لقد ذهب سمنر إلى أن الفلسفة والأخلاق النظرية تستمدان فكرهما من العادات الشعبية وحدودها التى التزمت بها الثقافة الملازمة لها، وأن السنن الاجتماعية ما هى إلا خدعة يصدقها كل البشر. ثم يجىء عالم اجتماعى براجماتى وهو الإيطالى فلفريدو باريتو، الذى كان يرى أن تركيب المجتمع ينطوى على عنصرين رئيسيين، كليهما لا منطقى ولاعقلانى، أولهما الدوافع التى يعد الكثير منها غريزيا والتى تظل ثابتة تقريبا فى الفرد، وإن كان من الممكن أن يطرأ تغيير تدريجى كنتيجة للتجارب الشخصية التى يمر بها الإنسان. أما العنصر الآخر فهو الحيل الدفاعية أو ما أسماه باريتو بالمشتقات Derivatives، والتى يستعملها الإنسان للدفاع عن دوافعه، أكانت هى خيرة أم مسيئة، صواب أو خطأ. إن الإنسان – كما يقول باريتو – يقوم بتبرير أفعاله السابقة أو اللاحقة ببعض الحجج غير المنطقية، والألفاظ البراقة السفسطائية من أجل إلباس الخطأ / الصواب، ثياب الخير / الشر، ولكى يضفى على سلوكه مظهر الاتفاق مع الأخلاق المعترف بها فى المجتمع. كان باريتو يصف معظم النظريات والأحكام الأخلاقية بأنها ضرب من النفاق، مع تأكيده بأنه فى العادة نفاق صادر من اللاشعور. فى هذا العصر أيضا قاد

ستيفنسون الحديث عن النظرية العاطفية فى الأخلاق Emotivism، والتى تذهب إلى أن الحكم على شخص ما أخلاقيا ينبع من سلوك هذا الشخص، ومشاعر الآخرين بقبولهم أو رفضهم هذا السلوك.

ذهب الفيلسوف الشيوعى الألمانى كارل ماركس إلى أن النظريات الأخلاقية إنما وجدت لخدمة مصالح الطبقة الحاكمة والتى تسعى إلى الاحتفاظ بالسلطة واستغلالها. وبمزيد من التفسير يرى ماركس أنه إذا كانت الأحكام الأخلاقية قد وجدت للتعبير عن رغبات ومصالح البشر، فبالمنطق فإن الطبقة الحاكمة قد وضعت الأحكام والمعايير الأخلاقية للتعبير عن رغباتها ومصالحها، ولما كانت هذه الطبقة هى المسيطرة ولها نفوذ وتأثير، فقد زرعت هذه المعايير وطبقت وانتشرت ثم أصبحت ثقافة عامة، بالرغم من أن الكثير منها غير منطقى أو غير عقلانى، أو يخدم البعض منها طبقة / فئة دون باقى الطبقات أو الفئات. لقد امتدح العالم الاجتماعى ميكيافيللى لأنه كان صادقا مع نفسه، وأظهر فى نصائحه لأميره سريرة الذات الداخلية دون زيف أو تزويق، كاشفا الطبيعة الأنانية للجنس البشرى. ومن هذا المنطلق وفى نفس هذا الاتجاه، قامت نظرية عالم النفس سيجموند فرويد على وجود الذهن اللاشعورى المكمل والملازم للشعور أى للعقل الواعى، وأن اللاشعور له التأثير الأقوى فى تحديد سلوك الإنسان. وداخل الطبقات السفلى من اللاشعور توجد الرغبات والذكريات المكبوتة، والغرائز الحيوانية، وأوحال يخجل الإنسان من إظهارها أو التعاطف معها. إن سلوكنا الواعى العقلى / الأخلاقى، يتحكم فيه اللاشعور الذى يسبح فى تياره اللاعقلية واللاأخلاقية. ويدفع اللاشعور بآليات الدفاع أو الحيل الدفاعية لتبرير مكنوننا الغريزى، الذى لا نستطيع أن نسميه أخلاقيا أو لا أخلاقيا لنسبية الأحكام والمعايير الأخلاقية، والتى يوظفها الفرد وفقا لأهوائه ورغباته.

إن من الوهم أن يعتقد الإنسان فى توجيه السلوك البشرى والتحكم فيه – فقط – بالأحكام الأخلاقية ومعاييرها، فقد تسبب الأخلاق من التعاسة والشقاء أكثر ما تسببه الأفعال غير الأخلاقية. يبرهن التاريخ القديم والحديث عن هذه المقولة، فقد اقتضى القضاء على أنظمة ديكتاتورية (فى شيلى والعراق وبعض الدول الأفريقية)، هلاك عدد من البشر وتدمير مجتمعات وبيئة بما فيها من بنية تحية، يفوق مساوئ ما اقترفته النظم الديكاتورية. لقد توصل الإنسان الحديث إلى النسبية فى الأخلاق، وتطبيق نظريات الاحتمالات بدلا من القيم المطلقة والخير الأسمى، وأن يتقبل الإنسان أن يعيش فى اللايقين بعد أن تيقن عدم وجود اليقين.

إذا تناولنا موضوع النسبية الأخلاقية من باب علم النفس، نجد أن المعايير الأخلاقية تقوم على التفضيل الانفعالى. إن الإنسان دائما ما يسمى "الانفعالات السارة" بكلمة "خير"، كما يسمى الانفعالات غير المحببة إليه – مثل الكراهية والحقد – بكلمة " شر"، ولما كانت الانفعالات متغيرة من فرد إلى آخر، كما تتغير داخل نفس الفرد من حين إلى آخر، لذلك تتحول عملية التقييم الأخلاقى إلى عملية شخصية ومتغيرة، فالشيء الذى قد يراه البعض شرا أو لاأخلاقيا، قد يراه الآخر خيرا أو أمرا عاديا، وأكثر مثال للتوضيح هو فكر الحرية الجنسية الذى يسود المجتمع الغربى والذى تراه الثقافة الشرق أوسطية، الشر ذاته وفيه انعدام للأخلاق. حتى هذه الحرية كانت فى الماضى شرا فى نفس الحضارة الغربية، ولكن مع ترسيخ وتوسيع مفهوم قيمة "الحرية الفردية" أصبح مفهوم الحرية يشمل الحرية الجنسية ما دامت الأطراف بالغة ورشيدة، وبرضائها. لقد أدى تفسخ سلطة العقيدة الدينية فى الثقافة الغربية، إلى انهيار مبدأ الإلزام الأخلاقى ما دام لا يوجد ضرر على الآخر. وفى العقود القليلة الأخيرة، ومع توسع الغرب فى المناداة بالعولمة، فقد ارتضت الثقافة الغربية بتعدد المعايير الأخلاقية، فللشرق معايير يجب أن تحترمها الثقافة الغربية، وللغرب معايير – قد تكون مختلفة – يجب أن تحترمها الثقافة الشرقية. كذلك قام بعض المفكرين والمصلحين فى الوقت الحديث بحصر القيم الأخلاقية المشتركة والتى تسرى فى

جميع الثقافات لتكون نواة لقيم مشتركة تشبع رغبات وميول جميع البشر فى العصر الحالى، قيم مشتركة وثابتة لحين، فى انتظار تغيير مستقبلى قد يحدث فى منظومة بشرية ديناميكية، أساسها الحركة والتغيير.

فيما مضى، كان فلاسفة القيم الأخلاقية هم المعنيون بالبحث فى دور المثل العليا فى توجيه التفكير الذى يتوافق مع هذه القيم، ويعالجون مسائل مثل السلوك الإنسانى المقبول فى حالات معينة. كان الإفتاء فى قضايا الضمير Casuistry يطبق مبادئ أخلاقية عامة على كل حالة، ويقرر ماهية الخير والشر فى السلوك. أما الأخلاق الوضعية فهى تتعامل مع كل حالة كموضوع منفصل فى ذاته. كانت الفلسفة الأخلاقية تبحث أيضا فى طبيعتى الفضيلة والرذيلة ومعنى كل منهما، كما تبحث فى مفاهيم تقييم الذات، مثل الشرف والعار والمعصية، والتخاذل والإقدام، وكلها مفاهيم قد تنشط أحيانا أو تخبو فى ظل ظروف معينة وفقا للحالة النفسية أو المزاج الشخصى. وفى العصر الحديث، ومع دخول علوم جديدة وعديدة فى مجال النشاط الإنسانى، مثل علم النفس، والأنثروبولوجى (علم الإنسان من أصله وتطوره وعاداته ومعتقداته)، فقد شمل الاهتمام بالمسألة الأخلاقية باحثين من أفرع مختلفة من المعرفة والعلوم، لم تكن تتعلق بالفلسفة الأخلاقية من قبل. شملت البحوث الحديثة نوعية الحياة التى يرغب الفرد فى أن يعيشها، والأولويات التى يحددها لأهدافه والتزاماته، وكيف يتعامل الفرد مع الآخرين بشخصياتهم وثقافاتهم المختلفة. وفى عصر الاقتصاد الحر، ومع ظهور الشركات متعددة الجنسيات، والمؤسسات المالية العملاقة، بتأثيرها القوى على الدول والمجتمعات والأفراد، وما قد تسببه من اندلاع صُراعات وحروب، أصبح للاقتصاد، وللصراع الدولى دور فى ساحة الأخلاق وفى تشكيل قيمه ومعاييره. لقد تحولت المصالح الشخصية والصراعات الفردية إلى مصالح مؤسسات، وجماعات ضغط تتصارع من أجل أن تتحكم فى مصادر الغذاء وموارد الطاقة، والتكنولوجيا العالية التقنية.

نجح الفلاسفة فى دراسة الأخلاق داخل الحيز الثقافى النسبى، ولكن اختلفوا فى إيجاد أساس أو معيار مطلق، وكانت الأهداف السياسية لهؤلاء الفلاسفة إرشادية وتقويمية أكثر منها وصفية وتفسيرية. اختلف المفهوم فى أخلاقيات المهنة التى تعتبر معايير للسلوك تطبق على الذين يعملون فى مهنة معينة. كتب ديفيد رزنيك فى كتاب " أخلاقيات العلم " عن الأخلاقيات المهنية: (الشخص الذى يدخل مهنة ما يطلب منه الالتزام بأخلاقيات المهنة، لأن المجتمع يجعله موضع ثقة فى أن يقدم بضائع وخدمات ذات قيمة، ولا يمكن أن تتوافر ما لم يكن سلوكه مغلفا بمعايير معينة. لذا فإن المهنيين الذين يفشلون فى أن يدينوا بالتزاماتهم الأخلاقية ينتهكون هذه الثقة... الأطباء يلتزمون بواجب خاص وهو الاحتفاظ بأسرار المرضى طى الكتمان، وهو واجب يتجاوز الخلق العام القائل باحترام الخصوصيات... والواقع أن المعايير المهنية المدروسة جيدًا بواسطة فلاسفة الأخلاق تتضمن أخلاقيات طبية وأخلاقيات قانونية وأخلاقيات لوسائل الإعلام وأخلاقيات للهندسة..).

من الخطأ القول إن الإنسان لم يتنبه إلى أخلاقيات العلم إلا حديثا ولكن كان العلماء يتعرضون دوما للهجوم والنقد، متهمون بالإساءة إلى الدين أو الإنسان. لقد تمت محاكمة جاليليو بتهمة الزندقة والإلحاد عندما أعلن أن الشمس ثابتة وأن كوكب الأرض يدور حولها، ولم يتم العفو عنه إلا عندما أنكر علنا هذه الحقيقة العلمية. تعرضت نظرية النشوء والتطور لداروين للسخرية والاستهزاء، وظهرت إشاعة أن هذه النظرية تذهب إلى أن: "الإنسان أصله قرد". وفى العقود الأخيرة تناولت الصحافة بعض الأمور التى اعتبرتها لا أخلاقية فى العصر الحالى مثل إجراء التجارب من أجل استنساخ البشر، ومشروع الجينوم البشرى، ودراسات أخرى فى الأساس الوراثى للذكاء.

جرت مجادلات عن أخلاقيات استنساخ البشر، اشتعلت ثم خبت لغلبة

المعارضة. من منطلق الحرية الفردية فإن الاستنساخ عملية أخلاقية ما دامت لا تسبب ضررا أو أذى للآخرين، فقد يكون الاستنساخ هو الطريقة الوحيدة لبعض الأفراد للإبقاء على رابطة بيولوجية، فالإنجاب أو الاستنساخ هو قرار شخصى لا يخص الآخرين. أما إذا جرى الجدال تحت رداء الدين، فالاستنساخ البشرى عملية لاأخلاقية حيث أنها وسيلة لتصنيع وخلق البشر تختلف عن الإنجاب، فالاستنساخ حق خالص لخالق الكون ككل. إن الإنسان ليس سلعة يمكن أن تصنع فى مصنع، أو تنتج فى معمل أبحاث، إنه روح وذات نعمت بالدفء فى رحم الأم، واكتسب جينات من خلال سلسلة توالدية انتهت إلى الوالدين ثم إليه. إذا تحول الإنسان إلى سلعة تصنع ثم تباع وتشترى تحولت المنظومة البشرية إلى نظام آلى بحت حيث يكون تعديل الجينات وبالتالى الشكل والسلوك حسب طلب المشترى. واحتدت المناقشة والمجادلة، ولا أحد يعلم ما ستؤول إليه النظرة الأخلاقية فى هذه المواضيع مستقبلا، فالتجربة الإنسانية – من خلال التطور الزمنى – كافية لتبديل المنظور الإنسانى.

وأخيرا، كثيرا ما يقع البشر فى مصيدة الأخلاق "Ethics Trap "، ومعنى هذا المصطلح أن الإنسان يقوم بسلوك ما، دون اقتناع منه حتى لا ينال وصمة اللاأخلاقية. فإذا سامحنا إنسانًا يتعرض لنا بالإيذاء والإساءة، من مبدأ " المسامح كريم "، فقد سقطنا فى بئر " مصيدة الأخلاق " الذى غالبا ما يؤدى إلى شعور المسيئ بالقوة والانتصار، ويدعمه بالاستمرار فى الإساءة. مثال آخر على إعطاء المتسول بعض المال، من مبدأ الكرم والعطف على الفقير، غير مبالين بأن المتسول قد يستخدم هذا المال فى الشر والخطيئة. إن الإنسان لديه كثير من المصطلحات الكافية والجاهزة للاستعمال، تبريرا للوقوع فى مصيدة الأخلاق. قد تكون مسايرة الأخلاق الاجتماعية سببا شعوريا، وقد تكون المظهرية والادعاء الكاذب سببا مقصودا ومعنيا.